جامعة المستقبل
القسم : اداب اللغة الانكليزية
المادة : اللغة العربية
المرحلة : الاولى
استاذ المادة : م . م ايلاف محمد عباس

المقدمـــــــــة:

ولادته ونشأته

ولد الجواهري في النجف في ٢٦تموز من عام ١٨٩٩م، من أسرة ذات سمعة ومقام بين الأوساط النجفية الدينية والأدبية. وكان أبوه عبد الحسين عالمًا من علماء النجف، وقد ألبس لأبنه الذي بدت عليه ميزات الذكاء والمقدرة على الحفظ -أن يكون عالمًا- عباءة العلماء وعمامتهم وهو في سن العاشرة، ويتحدر من أسرة نجفية محافظة عريقة في العلم والأدب والشعر تعرف بآل الجواهر، نسبة إلى مؤسسها ، والذي يدعى الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والذي ألف كتابًا في الفقه واسم الكتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) ومن هنا لُقِب بالجواهري، وكان لهذه الأسرة في النجف مجلس عامر بالأدب والأدباء يرتاده كبار الشخصيات الأدبية والعلمية. وكان والده حريصًا على إرساله إلى المدرسة وأن يُدرس من أساتذة كبار يعلموه أصول النحو والصرف والبلاغة والفقه. ويذكر أنه أشترك في ثورة العشرين ضد السلطات البريطانية. وأول مجموعة شعرية له وهو في الخامسة والعشرين من العمر، تحت عنوان، خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح، وتبعه إصدار أول ديوان شعري في العام ١٩٢٨م بين الشعور والعاطفة .

البلاط الملكي

عمل الجواهري لفترة قصيرة في البلاط الملكي بعد تتويج الملك فيصل الأول ملكًا على العراق، وقدم استقالته منها، ويعلل ذلك بسبب قصيدته «جربيني» لما فيها من تحدٍ للمجتمع والعادات آنذاك، وبعد ذلك دخل إلى عالم الصحافة، وأسس جريدة الفرات، التي أغلقتها الحكومة، ولم يستطع إعادة فتحها؛ لذلك توجه الجواهري إلى سلك التعليم وعمل معلمًا في المدارس والثانويات في عدة مدن منها بغداد والبصرة والحلة .

انقلاب ١٩٣٦

في عام ١٩٣٦م أصدر جريدة الانقلاب عقب الانقلاب العسكري وبسبب مواقفه المناهضة للانقلاب حُبس لمدة ثلاثة أشهر وأُغلقت الصحيفة، بعد خروجه وسقوط حكومة الانقلاب العسكري أعاد فتح الجريدة باسم الرأي العام، وكانت المقالات التي ينشرها سببًا لأغلاق الصحيفة لأكثر من مرة حتى أن الضغوط دفعته للهجرة إلى إيران والعودة بعد فترة .

مسيرته السياسية

وفي عام ١٩٤٦م ظهرت في العراق دعوات إلى نشر وترسيخ الديمقراطية وهذا ما شجعته حكومة توفيق السويدي التي شُكلت في ٢٣شباط، عام ١٩٤٦م، وتأسس الحزب الوطني الذي كان الجواهري من الأعضاء المؤسسين له، وأجازت الحكومة للحزب الوطني ممارسة العمل السياسي، وفي ٢نيسان من نفس العام اتخذ الحزب من جريدة الرأي العام، الناطق الرسمي له، وبعد فترة نشبت خلافات بين أعضاء الحزب مما أدى بالجواهري إلى أن يقدم استقالته في آب من عام ١٩٤٦م، وواصل الجواهري نشاطه السياسي بالإضافة إلى النشاط الصحفي، فقد كان مسؤولًا عن جريدة الرأي العام، وفي عام ١٩٤٧م انتخب نائبًا في مجلس النواب العراقي واستقال بعد عام واحد لمعارضته معاهدة بورتسموث والتي كان شقيقه أحد ضحاياها نتيجة لتعرضه لإطلاق ناري خلال التظاهرات ومقتله متأثرًا بجراحهِ بعد عدة أيام، وبسبب هذهِ الواقعة كتب قصيدتين يرثي فيها أخيهِ بعنوان «أخي جعفر» و«يوم الشهيد»

قصيدة (يا دجلة الخير)

حَيّيتُ سفحَكِ عن بُعْدٍ فحَيّيني — يا دجلةَ الخيرِ، يا أُمَّ البستاتينِ

حييتُ سفحَك ظمآناً ألوذُ به — لوذَ الحمائمِ بين الماءِ والطين

يا دجلةَ الخيرِ يا نبعاً أفارقُهُ — على الكراهةِ بين الحِينِ والحين

إنّي وردتُ عُيونَ الماءِ صافيةً — نَبْعاً فنبعاً فما كانت لتَرْويني

وأنتَ يا قارَباً تَلْوي الرياحُ بهِ — لَيَّ النسائمِ أطرافَ الأفانين

ودِدتُ ذاك الشِراعَ الرخص لو كفني — يُحاكُ منه غَداةَ البَين يَطويني

يا دجلةَ الخيرِ: قد هانت مطامحُنا — حتى لأدنى طِماحِ غيرُ مضمون

أتَضمنينَ مَقيلاً لي سَواسِيةً — بين الحشائشِ أو بين الرياحين؟

خِلْواً مِن الـهمِّ إلاّ همَّ خافقةٍ — بينَ الجوانحِ أعنيها وتَعنيني

تَهُزُّني فأُجاريها فتدفعُني — كالريح تُعجِل في دفع الطواحين

شرح مفردات قصيدة يادجلة الخير

المفردة	المعنى
سفحَكِ	المكان في الجبل الذي يسفح الماء فيه.
ألوذُ	أي يذهب ويأوي في ذلك المكان.
الأفانين	أي الأغصان التي تلتف حول بعضها البعض.
البَين	أي البعد والفراق.

التعليق النقدي للقصيدة يا دجلة الخير

ولعل دجلة بما تحمله من معنى واسع لم تخالط وجدان شاعر عراقي وعربي ومكنونات قصائده كما خالطت عاطفة الشاعر محمد مهدي الجواهري. ويتضح ذلك جليا في رسمه لكل ما يدور الآن في العراق وكأنه كان يراه ويشهد عليه دجلة.. تلك النائمة على سكر أبي نواس ووشي حضارة الرشيد ودل الأمين وقوة المعتصم وجبروت الحجاج وحزم المنصور وأنغام الموصلي.

يبدأ الجواهري قصيدته "دجلة الخير" كأنه ينادي محبوبته -وكما نادى المجنون جبل التوباد– فيقول:

حييت سفحك عن بعد فحييني يا دجلة الخير يا أم البساتين
حييت سفحك ظمآنا ألوذ به لوذ الحمائم بين الماء والطين

ويعترف الجواهري بأن ظمأه الأبدي لا تجليه إلا دجلة، الأمر الذي يجعلنا نجزم أن هذا الظمأ هو من نوع آخر.. ظمأ الشوق والبعد والاغتراب وظمأ الظلم والحب والذكريات وظمأ الحرية:

يا دجلة الخير يا نبعا أفارقه على الكراهة بين الحين والحين
إني وردت عيون الماء صافية نبعا فنبعا فما كانت لترويني

ويزيد عطش الجواهري إلى الأرض والحنين إلى الماء حتى يغلبه الغياب عن اللحظة الحياتية ويدخل عالم اللاوعي لنجده يتمنى أن تكون دجلة بعمقها قبره، وشراع قاربها الذي تلعب به الرياح -مثله مثل مصير الشاعر في اغترابه- كفنه، ويقول:
وأنت يا قاربا تلوي الرياح به ليّ النسائم أطراف الأفانين
وددت ذاك الشراع الرخص لو كفني يحاك منه غداة البين، يطويني

ولا نجد مبررا لهذا الإصرار على التوحد مع كل مفردات دجلة سوى غلبة اليأس على أمل لقاء الحبيبة أو إحساس الجواهري الشديد بالألم والحسرة والخوف مما هو قادم حيث يقول:

يا دجلة الخير قد هانت مطامحنا حتى لأدنى طماح غير مضمون

وهذا اليأس السياسي الذي سكبه الجواهري شعرا لا يبعد أصابع الاتهام عن دجلة العاشق والمعشوق سليل أبي نواس المجنون الذي راهن ما ألبسته وخلعته عليه الملوك في شربة زق حيث يقول:

يا مستجم النواسي الذي لبست به الحضارة ثوبا وشي هارون
الغاسل الهم في ثغر وفي حبب والملبس العقل أزياء المجانين
والراهن السابري الخز في قدح والملهم الفن من لهو أفانين
يا سكتة الموت يا أطياف ساحرة يا خنجر الغدر يا أغصان زيتون

غير أنه تجريم ولوم من ولهان محب لا يلبث أن يمتطي صهوة المجد الممجد لمحبوبته وذكر محاسنها وأصلها الضارب في العمق، ليبث ألمه مع ألمها ومشاركته لها ما يعتريها من شحوب وما عليها من غبار صروف الدهر بل ما يخبئه لها آنذاك المستقبل-الحاضر:

يا أم بغداد من ظرف ومن غنج متى التبغدد حتى في الدهاقين
يا أم تلك التي من ألف ليلتها للآن يعبق عطر في التلاحين
يا دجلة الخير ما يغليك من حنق يغلي فؤادي وما يشجيك يشجيني
ما إن تزال سياط البغي ناقعة في مائك الطهر بين الحين والحين
ووالغات خيول البغي مصبحة على القرى –آمنات- والدهاقين

ويأتي البيت التالي في شكل إجابة غريبة على سؤال ربما لم نقرأه لكننا لا نجافي الحقيقة إذا ما قلنا إن دجلة - المسجونة بالرصافة والكرخ وبأشياء أخرى- ربما أسرت بمعاناتها لشاعرها بلغة لا نفهمها نحن ليقول:

يا دجلة الخير أدري بالذي طفحت به مجاريك من فوق إلى دون
أدري على أي قيثار قد انفجرت أنغامك السمر عن أنات محزون
أدري بأنك من ألف مضت هدرا للآن تهزين من حكم السلاطين
تهزين من خصب جنات منثرة على الضفاف ومن بؤس الملايين
تهزين من عتقاء يوم ملحمـــة أضفوا دروع مطاعيم مطاعين
الضارعين لأقدار تحل بهـم كما تلوى ببطن الحوت ذو النون
يرون سود الرزايا في حقيقتها ويفزعون إلى حدس وتخمين
يا دجلة الخير والدنيا مفارقـة وأي شر بخير غير مقرون
لعل يوما عصوفا جارفا عرسا آت فترضيك عقبان وترضيني

وعلينا أن نسأل هنا هل لدى الشاعر قوة حدس وبعد سياسي يختزل الزمن ويمتلك القدرة على صياغة أحداث المستقبل كما هي قبل أن تقع؟ لماذا أسر الجواهري لدجلة بما نعيشه الآن في شكل خوف وتوجس وتعميم لم نفهمه أو بالأحرى لم ندركه، إلا بعد أن عايشنا الحرب وما يحدث الآن؟

وربما كان بيته التالي فيه توضيح لهذا السؤال حينما يشرح أن الشعر ليس سوى بعض قراءة للغيبيات والأقدار منذ الأزل:

يا دجلة الخير كان الشعر مذ رسمت كف الطبيعة لوحا سفر تكوين

وفي هذه الرحلة مع الشاعر الخالد بنهره والنهر الخالد بشاعره ومنابعه ومصابه لا ننسى أن هناك أيضا نوعا من الحب لمخلوقات ذلك النهر لدى الجواهري الذي تكلم حتى عن ضفادع دجلة، واصفا نقيقها بمراسيل مشفرة بين العاشقين قائلا في قصيدة أخرى:

سلام على جاعلات النقيق على الشاطئين بريد الهوى
لعنتن من صبية لا تشيخ ومن شيخة دهرها تصطفى

ولئن فاق الجواهري بمذاق العصر، وفتنة المغايرة، والقدرة الفذة على إبداع الصورة الشعرية في منمنماتها، وتنويعاتها الإيقاعية، وبنَفَس شعري هو الأبعد مدى وغاية بالنسبة لأقرانه الكبار من شعراء العصر فلقد سبقه في هذا العشق لدجلة ولبغداد ابن زريق عندما يهيم وهو بعيد بقمر دجلة المتراقص على وجهها:

أستودع الله في بغداد لي قمرًا بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه.

الصور الفنية في قصيدة يا دجلة الخير

وردت في القصيدة مجموعة من الصور الفنية الجميلة وهي كالآتي: حَيّيتُ سفحَكِ جعل السفح مثل الإنسان الذي تُلقى عليه التحية، استعارة مكنية حذف المشبه به وأبقي على شيء من لوازمه. وأنتَ يا قارَباً يتوجه بالحديث إلى القارب مثل الإنسان، استعارة مكنية حذف المشبه به وأبقي على شيء من لوازمه. حييتُ سفحَك ظمآناً ألوذُ به لوذَ الحمائمِ بين الماءِ والطين تشبيه تمثيلي، حيث أبقي على المشبه والمشبه به ووجه الشبه وحذفت أداة التشبيه.